

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير  
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات  
manarat

WWW. almadasupplements.com

العدد (4430) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (15) أيار 2019

الكندي









# الكندي رائد علم المعادن

**هو من الإثني عشر عبقريا الذين ظهروا في العالم**

**كاردانو**

عدنان عاكف
<div></div> <div>كاتب راحل</div>



استخدامها كدليل للتخري عنها. وكان أول من درس البنية الداخلية للدر، وتناول بالتفصيل صفات اللؤلؤ ومشأه. وكان كتاب الكندي المرجع الأساسي الذي اعتمده البيروني عند تصنيفه لألوان الجواهر والأحجار، لأبي زكريا يحيى (أو يوحنا ) بن ماسويه، وهو من معاصري الكندي (توفي في ٢٤٣ هـ)، وكان على علاقة به حتى ان الكندي ألف رسالة باسمه بعنوان: "رسالة في النفس وأفعالها الى يوحنا بن ماسويه "

ليس امامنا سوى ان نستعين بكتاب البيروني للحكم على ما ورد في كتاب الكندي. ويكفي ان اسم "الكندي" ورد خمسين مرة في كتاب "الجماهر" ، وقد اقتبس البيروني فقرات مطولة، غطت جميع أنواع المعادن تقريبا، تناولت جوانبا مهمة من خواص المعادن والجواهر، ومناطق تواجدها وطرق معالجتها. ويستنتج من هذا الكتاب ان الكندي كان خبيرا كبيرا في المعادن والأحجار، وكانت له تجاربه العملية وخبرة كبيرة في معالجة المعادن بالناز، وهي طريقة علمية لمعرف جوانب من خواص المعادن، مثل تأثير النار على لون المعدن والشفاافية واللعمان، وكذلك تأثير الخل والحوامض على المعادن. وكان الكندي فتائنا بارعا في تصنيع الجواهر وصقل وجوهاها وفي معالجة العيوب والشقوق وتنقية الجواهر من الذب والشوائب، التي تسيء الى المظهر والشكل، مما يؤدي الى انخفاض سعرها.

ويستشهد البيروني بأراء الكندي في الجانب النظري في الكثير من المواضيع، مثل أنواع الترسبات المعدنية، وطرق البحث عنها، وما يتعلق بتواجد المعادن سوية في الطبيعة وعن نوعية الصخور المرافقة لبعض المعادن

الحقائق عن الخواص والحالات التي سمع عنها، ولذا كثير ما تردد في نصوصه كلمات من قبيل : وجريته،واخترته، ورأيت ذلك، ولم أرى ذلك، وعالجته بالناز فوجدت، ولم أنحقق منه، وهكذا. ولم تقتصر اهتماماته على الأحجار الكريمة، بل شملت معادن وفلزات متنوعة مثل الرصاص والحديد والنحاس، والزئك، وغير ذلك.

لكن يبقى انجازه الأكبر في الجانب النظري هو وقوفه ضد أهل الصنعة. وأهل الصنعة هو المصطلح الذي كان يستخدم لوصف من كان يعمل في مجال السيمياء، التي كانت تسعى الى تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة. و السيمياء هي الكيمياء القديمة، والتي تمتد جذورها الى الزمن البابلي، والتي كانت تسعى للحصول على إكسير الحياة وعلى الذهب من معادن أخرى. وارتبطت باسم العالم الكاهن الحكيم الأسطوري هرمس البابلي، الذي يقال انه هاجر الى مصر. يقول ابن النديم في الفهرست : " زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صناعة الذهب والفضة من غير معادنها أن أول من تكلم على علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي المنتقل إلى مصر عند افتراق الناس عن بابل. وكان حكيما فيلسوفا وأن الصنعة صحتّ له وله في ذلك عَدَة كتب.

ألف الكندي رسالة خاصة حاول ان يثبت بطلان العمل بالصناعة، واعتبر ان محاولة الحصول على الذهب والفضة من معادن أخرى مضیعة للجهود والوقت، وذلك في زمن كان الجميع يتحدث حول هذا الموضوع وأشار (كما يتكر فدري حافظ طوقان في كتابه تراث العرب العلمي ) الى ان الاشتغال بالكيمياء بقصد الحصول على الذهب لتصنيف الأحجار الكريمة. ووضع رسالة سماها "رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم" ولم يسلم الكندي بسبب موقفه الرافض هذا . فقد تعرض الى نقد شديد من قبل بعض العلماء المعاصرين له، ومن قبيل علماء جاؤا من بعده أيضا. وقد يكون هو أول عالم يقوم بذلك، مع العلم ان الكثير من علماء الكيمياء المعروفين، مثل جابر ابن حيان وأبو زكريا الرازي، قد عملوا في مجال تحويل المعادن الى ذهب وفضة. وجدير بالذكر ان محاولات الحصول على الذهب تحولت الى علم مندر قائم بنفسه في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وظل هواة الثروة والمال يواصلون معامراتهم العلمية حتى نهاية القرن الثامن عشر...

لقد استطاع الكندي – لأول مرة – ان يجمع بين جميع هذه الفئات. ومن يقرأ الفقرات التي اقتبسها البيروني من كتابه يدرك جيدا انه أمام واحد من الخبراء الكبار ، وقد اعتمد في غالبه معارفه على تجاربه الشخصية، بالإضافة الى استقصاء



النظرية الواسعة والتجربة العملية. ويبقى الرائد بين العلماء الثلاثة هو فيلسوف العرب الأول، الكندي، الذي سبق زميليه بنحو قرنين من الزمن. ويكفي الكندي موقفه هذا ليخلد اسمه في مقدمة قائمة العلماء الكبار في علم المعادن وعلم الكيمياء

تعالوا لتتعرف عن قرب على الطريقة التي تعامل بها الكندي مع اللؤلؤ. كيف يتكون اللؤلؤ ؟ نسج خيال الإنسان شتى الأساطير " العلمية" منذ العصر اليوناني وحتى القرن التاسع عشر وهو يحاول الاجابة على هذا السؤال. وكانت جميع الآراء القديمة، اليونانية منها أو العربية التي تأثرت بها تقول بالمشأ الخارجي للدر، أي ان الدر يتكون في داخل المحار نتيجة لأسباب وعوامل خارجية، مثل دخول الماء في داخل الصدف، أو من قطرات الندى، أو من قطرات المطر، أو تحت تأثير البرق، والنخس، والزئك، وغير ذلك.

لكن يبقى انجازه الأكبر في الجانب النظري هو وقوفه ضد أهل الصنعة. وأهل الصنعة هو المصطلح الذي كان يستخدم لوصف من كان يعمل في مجال السيمياء، التي كانت تسعى الى تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة. و السيمياء هي الكيمياء القديمة، والتي تمتد جذورها الى الزمن البابلي، والتي كانت تسعى للحصول على إكسير الحياة وعلى الذهب من معادن أخرى. وارتبطت باسم العالم الكاهن الحكيم الأسطوري هرمس البابلي، الذي يقال انه هاجر الى مصر. يقول ابن النديم في الفهرست : " زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صناعة الذهب والفضة من غير معادنها أن أول من تكلم على علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي المنتقل إلى مصر عند افتراق الناس عن بابل. وكان حكيما فيلسوفا وأن الصنعة صحتّ له وله في ذلك عَدَة كتب.

ألف الكندي رسالة خاصة حاول ان يثبت بطلان العمل بالصناعة، واعتبر ان محاولة الحصول على الذهب والفضة من معادن أخرى مضیعة للجهود والوقت، وذلك في زمن كان الجميع يتحدث حول هذا الموضوع وأشار (كما يتكر فدري حافظ طوقان في كتابه تراث العرب العلمي ) الى ان الاشتغال بالكيمياء بقصد الحصول على الذهب لتصنيف الأحجار الكريمة. ووضع رسالة سماها "رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم" ولم يسلم الكندي بسبب موقفه الرافض هذا . فقد تعرض الى نقد شديد من قبل بعض العلماء المعاصرين له، ومن قبيل علماء جاؤا من بعده أيضا. وقد يكون هو أول عالم يقوم بذلك، مع العلم ان الكثير من علماء الكيمياء المعروفين، مثل جابر ابن حيان وأبو زكريا الرازي، قد عملوا في مجال تحويل المعادن الى ذهب وفضة. وجدير بالذكر ان محاولات الحصول على الذهب تحولت الى علم مندر قائم بنفسه في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وظل هواة الثروة والمال يواصلون معامراتهم العلمية حتى نهاية القرن الثامن عشر...



باطنها الصدف من غير رونق له، ثم يكون وجه المنقشر عنه على مثل وجه الأول، فيدل على ان وجه هذا الداخل كان وقتا ما بارزا

منتشفا كوجه ذلك الأول "

دعونا في البداية ان نغض النظر عن الفرق بين رأي نصر وبين رأي الكندي بشأن منشأ اللؤلؤ، ونركز على الفرق بين المنهجين اللبان اتبعهما العالمان للتوصل الى الاستنتاج. لا أستطيع ان أتبين من كلام نصر ( وهو يعبر عن أصحاب المنشأ الخارجي) انه اعتمد أي منهج للتوصل على ان الدر ينشأ من المطر. مجرد رأي سبق ان طرحه أرسطو، الذي لم يزل لؤلؤة في حياته. أما بوشاش وفره الدر في المواسم الممطرة فقد يكون الأمر مجرد كلام لا أساس يعلقون هذه الكلمة على المحار الصغير ( داخل الصدف مع حرفيها وما كان مما يلي الأنّ والغم فهو الجيد ولهذا قالوا... الخ. مع العلم ان المحار الذي يحمل الدر في داخله يعتبر من الرخويات القاعية التي تلتزم قاع البحر. تشسر كتب التراث، وخاصة كتاب "الجماهر" ان هذا الرأي كان شائعا بالفعل في ذلك العصر وقبله، وقد أخذ به بعض العلماء أيضا – علماء من اليونان ( كان أرسطو في مقدمتهم ) وعلماء من بلاد الإسلام، ومن بينهم نصر البيروني، وأخوان الصفا، والدمشقي، وغيرهم. وقد اعتبر البيروني ان هذا الرأي هو رأي العامة حيث قال : " ونصر يتبع رأي العامة في قوله ان اللؤلؤ يتكون من المطر، ثم يربيه الصدف فانه كالريق للإنسان، يقبله في فمه، ويجليه. ويستدل على ذلك ان المطر كلما كان أكثر في سنة وأجبل في وقته كان وجود اللؤلؤ فيها أغزر وريعه أوفر ..."

من المؤسف ان البيروني لم يقل لنا موقف الكندي من رأي العامة، لكننا نستدل من كتاب "الجماهر" ان الكندي قد استشهد بقول أصحاب التجارب والتجار حول وفره اللؤلؤ في المواسم والسنين التي تكثر فيها الأمطار. هل يعني هذا ان الكندي كان يعامل

بوسع الكندي أو غيره ان يزنّعون عدد من الطبقات مجتمعة، وليس طبقة واحدة لا يمكن أن ترى بالعين المجردة. والكلام عن "حدوث الطبقة فيه بعد الطبقة" كلام سابق لعصره، ويعني ان ترسيب المادة كان يتم على شكل طبقات متعاقبة. ولو عدنا الى كتب الجيولوجيا، القديمة منها والحديثة فأننا لن نعثر على كلام كهذا

يتناول الترسيب المتتالي للطبقات إلا في القرن السابع عشر، وتحديدا عن العالم الدينماركي نيكول ستينو، Nicolas Steno (١٦٣٨–١٦٨٦)، a pioneer in anatomy and geology والذي يعرف في المصادر العلمية بكونه " أب الجيولوجيا وعلم الطبقات"، و بكونه صاحب أحد المبادئ العلمية الثلاثة التي يقوم عليها العلم الجيولوجي الحديث، ويعرف هذا المبدأ باسم " مبدأ تعاقب الطبقات !!!"

لسنا هنا بصدد التشكيك بما قدمه ستينو لعلم الجيولوجيا، وهو بحق جدير بما ناله من لما قدمه لهذا العلم. قد يكون بالفعل

مؤسس علم الجيولوجيا الحديث، ولكن هذا لا يعني انه بدأ من الصفر، ولم يسبقه أحد الى فكرة التتابع الزمني في تكوين الطبقات الصخرية والعينية. فقد سبقه الى تلك الفكرة المهمة في تطور علوم الأرض الكندي وابن سينا والبيروني. ليس ذنب هؤلاء العلماء ان البعض من الباحثين المعاصرين يجهلون ما تم التوصل اليه قبل نيكول ستينو بنحو ثمانية قرون. ماذا يقوله هذا البعض من الباحثين المعاصرين بشأن معارف الإنسان عن منشأ اللؤلؤ ؟ يتوقف الباحث الروسي سوبليفسكي عند عدد من الآراء القديمة بعض أساطير شعوب الشرق والغرب، ثم يجزّم على " ان أحدا لم يستطع ان يدرك ان المبدع الحقيق لهذا الكنز الرابع هو ذلك الحيوان الضعيف الذي اسمه المحار ". لا يتفرد سوبليفسكي بهذا الرأي، بل يجزّم على " الحقيقة" ذاتها فيقول : "وقد حار العلماء في تعليل وجود اللؤلؤ في المحار ووردت كثير من الحكايات الخرافية حول أصله ونشأته في الكتب والمخطوطات، التي توارثناها من العصور القديمة أو الوسطى. ومن تلك الحكايات الشائعة ان اللؤلؤ يتكون عندما تنسقط قطرات الندى في الصباح الباكر في داخل المحار حينما تكون مفتوحة فتطهّيها حرارة الشمس وتضجها الى لؤلؤة ثمينة ! ومن تلك الآراء أيضا ان اللؤلؤ يتكون داخل المحار من تأخير البرق على أجسام هذه الحويوانات. ومنذ أكثر من قرن من الزمن ( هذا الكلام يعود الى عام ١٩٦٧ )، اهتدى العلماء الى تفسير علمي لطريقة تكوين اللؤلؤ في جسم المحار ..."

ما يتضمّنه كتاب "الجماهر" – وهو كتاب ورثناه من القرون الوسطى – من معلومات حول تكوين اللؤلؤ وأصله، تدحض هذا الرأي الذي يقفقر الى القومات التاريخية، وتضعه ضمن مجموعة الحكايات الخرافية التي نسجناها في القرن العشرين ونحن ندون تاريخا مشوها للعلم وتطور المعرفة. فما بين تلك الحكايات والنظرية الحديثة طرحت مجموعة من الغرضيات والآراء العلمية السليمة، التي مهدت الطريق لظهور النظرية الحديثة. لم يعرف العرب التركيب الكيميائي لمادة اللؤلؤ، ولم يعرفوا أسماء المعادن التي تدخل في تركيبه تلك المادة، فهذه كلها معلومات توصل اليها العلم في القرن العشرين. أما ما يتعلق باكتشاف ان اللؤلؤ ذو بنية طبقية وأنه يجوي في داخله على نواة أو مركز تترسب وتتمو حوله المادة اللؤلؤية، وان الحيوان الرقيق الضعيف الذي اسمه المحار هو المذنب الأول في توليث البنية بسبب الألبّ التي يبدها في داخله، فهي ، كما رأينا اكتشافات قديمة ورثناها من القرون الوسطى، وعمرها أحد عشر قرنا.

علينا في النهاية ان أراء الكندي تنطوي على أهمية علمية بالغة، لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين. عاش الكندي في المرحلة التي كانت فيه الحضارة العربية الإسلامية تحاول شق مجاري المعرفة، والتزوّد بالعلم من مصادر متنوعة.

عن الحوار التمدن





manarat  
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

مخبر

مدى

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة المدى

مدى

للاعلام والثقافة والفنون

# الكندي ورجال الدين

بين الفلسفة والدين، وبين الفلاسفة ورجال الدين، خصومة قديمة تذهب إلى أبعد العصور، ولا تزال سارية حتى اليوم. فقد كانت التهمة التي وجهت إلى سقراط أنه أنكر آلهة اليونان، ومن أجل ذلك حكموا عليه بالإعدام. وتاريخ الحضارة الإسلامية يسجل صراعا مستمرا حادا بين الفلاسفة ورجال الدين، أشهر بعضه، وخفي عنا بعضه الآخر. وأظنك لا تجهل كيف نهض الغزالي يهاجم الفلاسفة هجوما عنيفا في كتابه تهافت الفلاسفة، وانبرى له ابن رشد يفند أقواله في (تهافت التهافت) كما ألف في التوفيق بين الفلاسفة والدين، ويدعو إلى رفع الخلاف عنهما كتاب (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال).

## د. أحمد فؤاد الاهواني

وأكبر الظن أن المعاصرين للكندي أضافوا إليه القول بالانتساب إلى يونان، لما رواه من انصرافه إلى البحث في الفلسفة اليونانية، ونقل آراء الفلاسفة وكتبتهم إلى العربية، مع تحبذ هذه الآراء والدفاع عنها. اللقطي في أخبار الحكماء أن الكندي هو المشتهر في الملة الإسلامية بالبتحرف في فنون الحكمة طبقات الأطباء (حذاق الترجمة في الإسلام أربعة: حنين بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري).

كان الكندي أذن من حذاق المترجمين عن اليونانية، وله في الدفاع عن الفلسفة اليونانية حجة لطيفة خلاصتها أن الفرد الواحد لا يستطيع بلوغ الحق وحده فلا بد من التعاون في الفكر والأخذ عن المتقدمين إلى أن قال: (وغير ممكن أن يجتمع في زمن المرء الواحد وأن اتسعت مدته، واشتدت تحبذ هذه الآراء والدفاع عنها. اللقطي في أخبار الحكماء أن الكندي هو المشتهر في الملة الإسلامية بالبتحرف في فنون الحكمة طبقات الأطباء (حذاق الترجمة في الإسلام أربعة: حنين بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري).



لقد جئت فينا يا أحمد خذنا غدا

من استحسن الحق، واقتناء الحق من أين أتى، من الأجناس القاصدة عنا والأمم الميامنة. . .)

ولسنا ندري هل كان الكندي هو الذي بدا الهجوم على رجال الدين، أم كان يدفع عن نفسه هجماتهم. ذلك أن الفلسفة لم تكن يمثل ذلك من شدة البحث، والطاق النظر قد أوغلت في الحضارة الإسلامية. ولم يكن العهد بينه وبين عصر المأمون بعيدا، والمأمون كما نعرف هو الذي شجع حركة النقل وأنشأ في بغداد دار الحكمة، وبعث في طلب كتب الطب والفلسفة وأجرى الأرزاق على المترجمين، وكان أغلبهم من السريان. والراجح أن الكندي هو أول فيلسوف عربي، وأول ناقل عربي، ولهذا قالوا عنه (فيلسوف العرب).

وكانت السنة رجال الدين حادة عنيفة ترمي المشتغلين بالفلسفة بالكفر، على الرغم من دفاع الخلفاء عنهم في صدر حركة النقل، وهذا هو السبب الذي دعا الكندي إلى الحذر في نقل جميع آراء أرسطو، وفي ذلك يقول: (توقيا سوء تاويل كثير من الجلالة في الرأي والاجتهاد دهرنا من أهل الغربية عن الحق، وإن نتوجوا بتجانس الحق من غير استحقاق؛ لضيق فطنتهم عن أساليب الحق، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي والاجتهاد في لانتفاع العامة الشاملة، ولدنة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية، والحاجب بسدف سجونته أبصار فكرهم عن نور الحق ووضعهم نوي الفضائل الإنسانية - التي قصروا عن نيلها، وكانوا منها في الأطراف المتناسعة - لوضع الأعداء، نجا عن كراسيم المزورة التي نصبوها من غير استحقاق، بل للرؤس والتجارة بالذين وهم عمداء الدين، لان من تجر بشيء باع، ومن باع شيئا لم يكن له، فمن تجر بالدين لم يكن له دين. ويحس أن يتعري من الدين من عاند تقنية علم الأشياء بحقائقها وسماها فترا؛ لان في علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية وعلم الوحدانية وعلم الفضيلة.

ووجهة كل علم نافع والسبيل إليه، والبعث عن كل ضار والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعا هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه، فإن الرسل الصادقة، صلوات الله عليها، إنما أتت بالإقرار بربوبية الله

وحدة وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإيقارها) فأنت ترى أن الخصومة كانت عنيفة بين الطرفين؛ فرجال الدين يرمون الكندي بالكفر والإلحاد، ويذهبون إلى أنه يجعل يونان أخا قحطان والكندي يرمي رجال الدين بأنهم يتجرون بالدين وهم عداء الدين، ويطلب منهم الحجة أن كان عندهم برهان أو دليل.

يقول عنهم أنهم يتسمون بالنظر وهم أهل غربة عن الحق، وانهم ينتجون الحق بغير استحقاق، بحجب الحسد أبصارهم عن نور الحق، بغير استحقاق، بحجب الحسد كراسي الدين طلبا للرياسة ونجا عنها ثم يبين الكندي الصلة بين الحكمة والشريعة بل يذهب إلى أن الدين من الفلسفة، فهي تقنية علم الأشياء بحقائقها وفي ذلك علم الربوبية والوحدانية والفضيلة فالفلسفة توافق الدين لان الرسل الصادقة أتت بالإقرار بربوبية الله وحده.

ثم يحتج الكندي لرجال الدين بحجة عقلية تضيق عليهم الخناق فيقول: أن اقتناء الفلسفة (يجب أو لا يجب، فان قالوا يجب وجب عليهم طلبها؛ وان قالوا أنها لا تجب، وجب عليهم أن يحصروا علة ذلك، وأن يعطوا على ذلك برهانا وإعطاء العلة والبرهان من تقنية علم الأشياء بحقائقها. فوجب أن تفضل هذه التقنية بالنسبة لهم).

غير أن الناصر في هذه المعركة كان لرجال الدين إذ شوها أثار فيلسوف العرب، وصرخوا عن قراءتها أغلب الناس. ويبدو كذلك أنهم أوغروا عليه صدر زعيم من أئمة الأدب في ذلك العصر هو الجاحظ الذي تناوله بالثقف والتجريح والسخرية اللاذعة في أكثر من كتاب، في الحيوان والبيان والتبيين والخلاء.

ومن التهم التي رمى بها الكندي فساد الذوق الأدبي، وفضع الأسلوب والبعد عن البلاغة وهي تهمة لصقت به، لا نستطيع أن نحقق فيها إلا إذا تناولنا أسلوبه بناء على ما ظهر له من نصوص.

عن مجلة الرسام المصرية 19٥٤

# كتاب الكندي إلى المعتصم بالله

د. محمد عبد الغني حسن

التناقض موقفاً لا تدري وجه الحق فيه. ويذكر ابن النديم أيضاً أن كتاب (الإلهيات) لأرسطو نقله أسطحات المترجم للكندي الفيلسوف. فيزيدنا شكاً في رسائل الكندي وصحة نقله إياها من اللسان اليوناني. . . على أن صديقنا الدكتور الأهواني لا يبالي بأمثال هذه الشكوك ويضفي في رسائل الكندي كان الطريق إليها مأمون العثرات. . .

ويظن بعض الناس عمداً أو خطأ أن الكندي مسيحي سرياني. وقد وقع في هذا الوهم الفيكونت فيليب طرازي في كتابه القيم (عصر السريان الذهبي). ومن عجب أن هذا الكتاب طبع سنة ١٩٤٦، وطبع قبله كتاب للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق وفيه نفى لمسيحية الكندي وتحقيق لهذا المسألة تحقيقاً لا يدع مجالاً للشك فيها. وأظن أن الكونت طرازي قد وقع له كتاب الشيخ مصطفى عبد الرزاق لأنه يفخر بمكتبته العامرة في بيروت فمأ معنى الإصرار على الأمر بعد تبين الحق فيه؟ وقد أشرت إلى ذلك في مجلة (الكتاب) عدد فبراير سنة ١٩٤٦ ص ٩١٦، ولعل الدكتور الأهواني رأى أن هذه الحقيقة في إسلامية الكندي وعربيته لا تحتاج إلى مزيد من التحقيق أو التقرير. والكندي لم ينتم بالانتساب إلى يونان كما يقول الدكتور الأهواني في صفحة ٢٢. والظاهر أن المسألة اختلطت على الدكتور وهو ينقلها عن (المسعودي) في كتابه (مروج الذهب) فلم يقل الكندي إنه يوناني ولكنه كان يذهب مذهب القائلين في الأنساب أن يونان أخ قحطان. وشتان بين هذا وذاك. أما الشاعر الذي هجا الكندي لهذا الخلط في الأنساب فهو أبو العباس الناشيء من طبقة ابن الرومي في الإجداد وما كان يستحق من الناشر هذا التكبير بقوله عنه (أحد الشعراء). . . وصحت البيت الأخير من أبيات (الناشيء) كما يلي:

تخطأ يونانا بقحطان ضلّة ... لعمرى لقد باعدت بهيما جدا

ويظهر أن الكندي مبتلي باضطراب الناس في حياته وفي آثاره وفي قيمته الفلسفية؛ فالدكتور مذكور يقول عنه إنه كان ممهدا للفلسفة الإسلامية ولم يكن فيلسوفاً. والدكتور أبو ريدة يقول عنه إنه كان فيلسوفا بالمعنى الواسع الذي يتمثل في فلاسفة اليونان. والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق يقول إن ما بأيدينا من آثاره لا يمكن من استخلاص منهجية الفلسفي نسقا كاملا. وأغرب ما في هذا الاضطراب أن شهرة الكندي كانت موضعاً للخلاف عند الناس. حتى أن الدكتور الأهواني يقرر في ص ٣٦ أنه كان عديم الشهرة، وأن رداة أسلوبه كانت علة في عدم شهرته. وأين هذا من قول الناشر نفسه في صفحة ٣٨ بأن الكندي اشتهر بالفلسفة، وكأنه بهذا يناقض نفسه. . . وأين هذا من قول اللقطي عنه: (إنه المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة الخ).

بقيت كلمة واحدة في مقدمة الدكتور الأهواني لرسالة الكندي في الفلسفة الأولى، فقد بلغت من وضوح المقاصد وسلامة المنهج وسهولة التعبير مبلغا نهنيء الأستاذ عليه، وخاصة إذا قيست بالرسمية نفسها وما فيها من غموض في بعض المواطن. وكان الدكتور الأهواني يعنى أن يقول بهذا الوضوح المقصود أن الغموض التعبيري ليس دائما من أدوات الفلسفة ولا من لوازمها.

مقدمة كتاب الكندي الى المعتصم



قواعد نشر المخطوطات. وإذا كان لم يقع لصديقنا الأهواني من مخطوط الكندي إلا نسخة خطية واحدة فانه في الحق قد عني والمراجعة على الرغم مما عناه من رداءة الخط وكثرة التصحيح وعدم الإعجام في النسخ.

ولا أقول إن تحقيق الرسالة الكندية المعتمدية قد أوفى على الغاية، وخاصة حيثما لا يكون بين يدي الناشر إلا مخطوط واحد يجتهد في تخريج الغامض من نصوصه على ما يقضيه السياق حيناً أو على ما يوحي به الحدس أحياناً. . . مما يحمل الناشر على أن يقول هذه العبارة التقليدية. . . (في الأصل كذا ولعلها كذا) ولعل ما يقع من اضطراب أو غموض في أسلوب الكندي مراد في بعض الأمر إلى ما عند الناسخين من خلط وتصحيح. والدكتور الأهواني يعترف معي بأن رسالة الكندي التي كانت للدكتور الأهواني فضل نشرها في لغة العرب لأول مرة، وهو فضل نسجه دائما مع الشكر لكل من يزيح سترا عن أثر من آثار المسلمين إبان نهضتهم في زماننا هذا الذي تدعونا فيه دواع كثيرة إلى كشف الغطاء عن كل أثر إسلامي صغر أو كبر.

وإذا كنا أخذنا في عدد ماض من مجلة (الرسالة) على الأستاذ فؤاد جميعاً عدم استفاء التحقيق والتحليل لكتاب (ميزان الحكمة) الذي ألفه الحكيم الرازي، فإن الدكتور الأهواني كان في الحق بعيداً عن موضع المواقفة حين أخرج رسالة الكندي في الفلسفة الأولى هذا المخرج الذي يجري على أسلم

لم تمض إلا أربعة أشهر أو خمسة على كتاب (معاني الفلسفة) الذي ألفه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني حتى أتحت جناح الفلسفة في المكتبة العربية بكتاب من كتب فيلسوف العرب يعقوب الكندي، وهو الكتاب الذي بعث به أول فيلسوف من فلاسفة العرب إلى الخليفة العباسي.

ولم يكن غريباً على فلاسفة المسلمين أن يبعثوا بكتبهم إلى الخلفاء، ولم يكن جديداً على (الكندي) نفسه أن يرسل الخلفاء في مسألة من مسائل العلم، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في (طبقاته) أن للكندي رسالة إلى المأمون (في العلة والمعلول).

وتحمل مراسلات الفلاسفة للخلافة والأمراء معنى تشجيع هؤلاء لأولئك، وهي في ذاتها دلالة من الواقع والتاريخ على ما كان يقوم به الخلفاء من احتضان العلماء وتقريبهم ومعونتهم على أداء الرسالة الجليلة التي نصبوا أنفسهم لها، وأضنوا أنفسهم في سبيلها.

وعنوان الرسالة نفسه (في الفلسفة الأولى) يحمل سؤالاً لا يرد على خاطر أول وهلة؛ فهل هناك فلسفة أولى تقابلها فلسفة ثانية وثالثة ورابعة؟ وهل هناك فلسفة أولى تقابلها على سبيل الطبايق البلاغي فلسفة أخرى؟ كما يقال في الشهور القمرية جمادى الأولى وجمادى الآخرة؟ وكما يقال في صفات الله: هو الأول والآخرة؟

فلننت أول الأمر أن الفلسفة الأولى هي فلسفة اليونان التي اشتغل بها العرب في إبان نهضتهم في الترجمة. فقد أكبوا على فلسفة اليونان ونقلوها إلى اللسان العربي الذي كانت الفلسفة شيئاً جديداً عليه. ولكن الدكتور الأهواني يقول في مقدمته التحليلية التفيسية للرسالة إن اصطلاح (ما دون الطبيعيات) هو نفسه (الفلسفة الأولى) ص ٥٥؛ وقد يكون ذلك مقبولاً لو أن عنوان رسالة الكندي هو (كتاب الفلسفة الأولى أو ما دون الطبيعيات) ولك العنوان هو كما يذكر الدكتور الأهواني (كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد).

ويستنبط المحقق من هذا النص أن ما دون الطبيعيات غير التوحيد، ولكنه ينسى ما يقوله الكندي في أحد مواضع الرسالة أن الفلسفة هي علم الربوبية والوحدانية - أو التوحيد - وينسى ما يقوله الكندي إلى مواطن آخر: (إن علم العلة الأولى سمي بحق الفلسفة الأولى).

ورسالة الكندي في الفلسفة الأولى لا تزيد على نصف الكتاب المطبوع اليوم إلا قليلاً. أما النصف الأول فهو تحقيق علمي دقيق في ترجمة الكندي ونشأته ومزنته في تاريخ الفلسفة الإسلامية وأسلوبه في الكتابة الفلسفية وتحليل الرسالة ذاتها، وقد أضاف هذا التحقيق كثيراً من القيمة لهذه الرسالة التي كانت للدكتور الأهواني فضل نشرها في لغة العرب لأول مرة، وهو فضل نسجه دائما مع الشكر لكل من يزيح سترا عن أثر من آثار المسلمين إبان نهضتهم في زماننا هذا الذي تدعونا فيه دواع كثيرة إلى كشف الغطاء عن كل أثر إسلامي صغر أو كبر.

وإذا كنا أخذنا في عدد ماض من مجلة (الرسالة) على الأستاذ فؤاد جميعاً عدم استفاء التحقيق والتحليل لكتاب (ميزان الحكمة) الذي ألفه الحكيم الرازي، فإن الدكتور الأهواني كان في الحق بعيداً عن موضع المواقفة حين أخرج رسالة الكندي في الفلسفة الأولى هذا المخرج الذي يجري على أسلم





أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي هو علامة عربي مسلم، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يعرف عند الغرب باسم (باللاتينية: Alkindus)، ويعد الكندي أول الفلاسفة المتجولين المسلمين، كما اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة والهلنستية

## الكندي.. الرائد الأول للفلسفة العربية

### إعداد/ منارات

ولد في الكوفة في بيت من بيوت شيوخ قبيلة كندة. كان والده والياً على الكوفة، حيث تلقى علومه الأولية، ثم انتقل إلى بغداد، حيث حظي بعناية الخلفيتين المأمون والمعتصم، في الرياضيات، لعب الكندي دوراً هاماً في إدخال الأرقام الهندية إلى العالم الإسلامي والمسيحي، كما كان رائداً في تحليل الشفرات، واستنباط أساليب جديدة لاختراق الشفرات، باستخدام خبرته الرياضية والطبية، وضع مقياساً يسمح للأطباء بقياس فاعلية الدواء، كما أجرى تجارب حول العلاج بالموسيقى.

كان الشاغل الذي شغل الكندي في أعماله الفلسفية، هو إيجاد التوافق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية الأخرى، وخاصة العلوم الدينية. تناول الكندي في الكثير من أعماله مسائل فلسفية دينية مثل طبيعة الله والروح والوحى. لكن على الرغم من الدور المهم الذي قام به في جعل الفلسفة في متناول المثقفين المسلمين آنذاك، إلا أن أعماله لم تعد ذات أهمية بعد ظهور علماء مثل الفارابي بعده بعدة قرون، ولم يبق سوى عدد قليل جداً من أعماله للعلماء المعاصرين لدراستها. مع ذلك، لا يزال الكندي يعد من أعظم الفلاسفة ذوي الأصل العربي، لما لعبه من دور في زمانه، لهذا يلقب بـ "أبو الفلسفة العربية" أو "فيلسوف العرب".

### في علم الفلك:

اتبع الكندي نظرية بطليموس حول النظام الشمسي، والتي تقول بأن الأرض هي المركز لسلسلة من المجالات متحدة المركز، التي تدور فيها الكواكب المعروفة حينها - القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري والنجوم -، وقال عنها أنها كيانات عقلانية تدور في حركة دائرية، ويقتصر دورها على طاعة الله وعبادته. وقد ساق الكندي إثباتات تجارية حول تلك الفرضية، قائلاً بأنه اختلاف الفصول ينتج عن اختلاف وضعيات الكواكب والنجوم وأبرزها الشمس؛ وأن أحوال الناس تختلف وفقاً لترتيب الأجرام السماوية فوق

بلدانهم. إلا أن كلامه هذا كان غامضاً فيما يتعلق بتأثير الأجرام السماوية على العالم المادي.

### في الطب:

للكندي أكثر من ثلاثين أطروحة، والتي تأثرت فيها بأفكار جالينوس. أهم أعماله في هذا المجال هو رسالة في قدر منفعة صناعة الطب، والذي أوضح فيها كيفية استخدام الرياضيات في الطب، ولا سيما في مجال الصيدلة. على سبيل المثال، وضع الكندي مقياس رياضي لتحديد فاعلية الدواء، إضافة إلى نظام يعتمد على أطوار القمر، يسمح للطبيب بتحديد الأيام الحرجة لمرض المريض.

### وفي الكيمياء:

عارض الكندي أفكار الخيمياء، القائلة بإمكانية استخراج المعادن الكريمة أو الثمينة كالذهب من المعادن الخسيسة، في رسالة سماها "كتاب في



إبطال دعوى من يدعي صناعة الذهب والفضة". كما أسس الكندي وجابر بن حيان صناعة العطور، وأجرى أبحاثاً واسعة وتجارب في الجمع بين روائح النباتات عن طريق تحويلها إلى زيوت.

### في البصريات:

اعتقد أرسطو لكي يرى الإنسان، يجب أن يكون هناك وسط شفاف بين العين والجسم، يملؤه الضوء، إذا تحقق ذلك، تنتقل صورة الشيء للعين. من ناحية أخرى، اعتقد إقليدس أن الرؤية تحدث نتيجة خروج أشعة في خطوط مستقيمة من العين على كائن ما وتنعكس ثانية إلى العين. لكي يحدد الكندي أي من النظريتين أرجح، جرب الطريقتين. فعلى سبيل المثال، لم تكن نظرية أرسطو قادرة على تفسير تأثير زاوية الرؤية على رؤية الأشياء، فلو نظرنا للدائرة من الجانب، فستبدو كخط. ووفقاً لأرسطو، كان يجب أن تبدو كدائرة كاملة للعين. من ناحية أخرى، كانت نظرية تحتوي على بعد حجمي، فكانت قادرة على تفسير تلك المسألة، فضلاً عن تفسيرها لطول الظلال والانعكاسات في المرايا، لأنه اعتمد على أن الأشعة لا تنتقل إلا في خطوط مستقيمة. لهذا السبب، رجح الكندي نظرية إقليدس، وتوصل إلى "أن كل شيء في العالم... تنبعث منه أشعة في كل اتجاه، وهي التي تملأ العالم كله". اعتمد ابن الهيثم وروجر بيكون وبيتلوي وغيرهم كما أن له إسهامات لا تحصى في الرياضيات والتشفير وقواعد الموسيقى والفلسفة....

### ومن مؤلفاته:

#### في الفلسفة

الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد. كتاب الحث على تعلم الفلسفة. رسالة في أن لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات. في المنطق رسالة في المدخل المنطقي باستيفاء القول فيه. رسالة في الاحتراس من خدع السفسطائيين.

في علم النفس رسالة في علة النوم والرؤيا وما ترمز به النفس. في الموسيقى رسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى. رسالة في الإيقاع.

#### في الفلك

رسالة في علل الأوضاع النجومية. رسالة في علل أحداث الجو. رسالة في ظاهريات الفلك. رسالة في صناعة الاسطرلاب. في الحساب رسالة في المدخل إلى الأرثماطيقى: خمس مقالات. رسالة في استعمال الحساب الهندسي: أربع مقالات.

رسالة في تأليف الأعداد.

رسالة في الكمية المضافة.

رسالة في النسب الزمنية.

#### في الهندسة

رسالة في الكريات. رسالة في أغراض إقليدس. رسالة في تقريب وتر الدائرة. رسالة في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح إسطوانة مفروضة.

#### في الطب

رسالة في الطب البقراطي. رسالة في وجع المعدة والقرس. رسالة في أشفية السموم. في الفيزياء رسالة في اختلاف مناظر المرأة. رسالة في سعار المرأة. رسالة في المد والجزر.

#### في الكيمياء

رسالة في كيمياء العطر. رسالة في العطر وأنواعه. رسالة في التنبيه على خدع الكيمياءيين. في التصنيف رسالة في أنواع الجواهر الثمينة وغيرها. رسالة في أنواع السيوف والحديد. رسالة في أنواع الحجارة.